علاقة الحركات الجسمية عند الإنسان بظاهرة العنف
- حركة العين أنموذجا–

الأستاذ: الزيتوني عبد الغني
جامعة أمحمد بوقرة – بومرداس

الملخص

لا تقتصر أسباب العنف على الألفاظ البذيئة، والكلمات الجارحة التي يصدرها اللسان و لا على المعاملات السخيفة التي يقترفها الإنسان، فللحركات الجسمية (الإشارات) علاقة بالعنف، إذا لم تهذب تلك السلوكات الحركية فكثيرا ما يتسبب المربي بصفة عامة،والمعلم في المدرسة بصفة خاصة في غرس بذور العنف في أوساط المتعلمين – شعر بذلك أم لم يشعر - من خلال قيامه ببعض الحركات الجسمية التي تؤثر سلبا على المتعلم كأن يلوي رأسه ساخرا غير مكترث بإجابة التلميذ في القسم أو بإصداره حركات تحمل معنى التهديد و الوعيد، وكثيرا ما نجد الأستاذ وهو يحرس الامتحان مثلا يوجه نظرات كالسهام إلى الممتحنين، زارعا في قلوبهم الحقد والقسوة، اللذان يتحولان إلى تصرفات قد لا يحمد عقباها.

ولذلك أردت من خلال هذا البحث المتواضع أن أميط لثام الإبهام على بعض هذه الحركات ودلالاتها مع التركيز على حركة العين، لأن أوضاع العين البشرية وحركاتها تترتب عليها معان تنبئ الأنظار بما في الأفكار، و أقف عند بعض المفردات مبينا دلالاتها من خلال توظيفها في كلام العرب، ومنها الغمز والشزر والرمق والإزلاق وغيرها، وذلك حتى نكون في منأي عن هذه النظرات التي قد تسبب العنف، إذ ليس العين أقل أذى من اللسان، واللحظ يجرح كما يجرح اللفظ، و كم من حركة جسمية تسببت في القتل والاغتصاب والتحرش ... الخ.

Résumé

Les causes de la violence ne se délimitent pas seulement sur les mots obscènes et les mots de proie (les insultes) émis par la langue, ou les mauvais agissements commis par l'homme. Les

gestes physiques sont aussi considérés comme un type de violence. Si on ne met pas fin à ces comportements physiques, c est souvent que l'éducateur en général et l'enseignant à l'école en particulier qui seront, à partir de ses gestes physiques, à titre d'exemple : tourner la tête en se moquant de la réponse de l'élève en classe ou avec des gestes qui portent un sens de menace ; soit avec ou sans intention ; la cause de semer la violence parmi les apprenants, ces gestes- là auront un effet négatif sur l'apprenant. C'est aussi souvent que l'enseignant, en surveillant par exemple dans un examen, regarde ses élèves ou ses étudiants avec des yeux qui portent derrière ses regards un sens de sévérité et de haine, qui vont être à leur tour traduite à des mauvais comportements.

Et pour cela, je voulais, à partir de mon intervention, mettre l'accent sur certains gestes et leurs significations, on se basant sur le mouvement de l'œil humain, car ses mouvements sont des traductions de pensées. J'explique aussi les significations de certains termes à partir de leurs utilisations dans la langue des arabes, tel que : le cligner l'œil, le regarder de travers, jeter un regard furtif, regarder avec colère…etc. pour être loin de ses regards qui peuvent être la cause de la violence, car l'œil n'est pas moins nocif que la langue. Comme la parole, le regard peut aussi blesser combien de mauvais geste était la cause de la mort, duviole, de provocation…etc.

تمهيد:

إنّ حاجة الإنسان إلى التواصل مع غيره من بني جنسه مظهر قديم من مظاهر سلوك غريزي رافق وجود الإنسان على وجه الأرض، فهو اجتماعي بالطبع، يستعين بمواهب غيره وقدراتهم لقضاء حاجاته، كما أنّه بحاجة دائمة للتعبير عن أفكاره ومشاعره، وهذا التعبير لا يكون عن طريق الأصوات أو الكتابة فحسب، لأنّ الإنسان أشار قبل أن يكتب ويتكلّم، فكانت الحركات الجسمية إذن أول مظاهر التعبير التي وظفها الإنسان للبوح بأسراره، وإيصال أفكاره ومشاعره، ومادامت الحركات تعدّ من وسائل الاتصال شأنها في ذلك شأن اللغة، فإن فهمها صار ضروريا، كما أنّ الألفاظ مهما بلغت دقتها من الدلالة على المعنى فإنها قد لا تفي بالغرض.

وبما أنّ الإنسان يتواصل بالإشارات، أردنا من خلال هذه المداخلة أن نتعرف على بعض الحركات التي تتسبب في غرس بذور العنف في النفوس أحيانا، وإذكاء ناره أحيانا أخرى، وسواء عن قصد أو عن غير قصد، إذ علينا تهذيب حركاتنا، كما سعى دائما إلى تهذيب وصقل ألفاظنا.

فماهي الحركات التي تؤثر في ظاهرة العنف؟ وهل وظّف العربيّ هذه الحركات من خلال ماوصلنا من كلامه؟ وكيف يمكن للإنسان الحد من هذه التصرفات؟ وإلى أي مدى تؤثر حركات العين المختلفة أثناء النظر إلى إنسان آخر؟ وكيف يسمى في اللغة العربية؟.

1- <u>الحركة الجسمية في التراث العربي:</u>

يعدّ القرآن الكريم أفصح نص عربي على الإطلاق، فهو قمّة البيان على مرّ العصور والأزمان، الذي بلغت آياته حدّ الإعجاز، وجعلت من العربي يفتخر بلغته، ويحتكم إلى هذا النص المقدّس إذا استشكل عليه أمرٌ من أمور اللغة، فكانت هذه الآيات – في كثير من المواضع – تشير إلى الحركات الجسمية المعبّرة عن المعاني، لا من فقر في التعبير اللفظي، كقوله تعالى: «**ولا تصعر خدك للناس**» [(1)]، وقوله أيضا:«**وأحيط بثمره فأصبحيقلب كفيه على ما أنفق فيها**» [(2)]، وقوله:«**مهطعين مقنعي رؤوسهم**» [(3)]..... الخ.

فقد وردت آيات كثيرة تصف الحركات الجسمية، تشمل سلوك العين، والخد والفم، والوجه، والرأس، واليد، والكف وغيرها من أعضاء الإنسان، لأن الإنسان بحاجة دائمة إلى الإشارة، لتعينه على التعبير عن أغراضه، فمن هذه الحركات، أو السلوكات الحركية ماهي منبوذة، وقد نهانا الله عزّ وجل عنها، فعلينا إذ ذاك أن نهذب سلوكاتنا الحركية، على شاكلة المشي مرحاً، حيث يقول سبحانه: «**ولا تمش في الأرض مرحا**»[(4)]، وهذا المشي له هيئات خاصة، تختلف من شعب لآخر، وإطلاق العنان للبصر، الذي حذّرنا الله سبحانه منه بقوله: «**قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم**» [(5)]، والغض هو إشارة تعني الكف عن النظر إلى عورات الناس ومعايبهم، تسطره إشارة العين إمّا بانسدال الجفون عليها، أو بإعراض الطرف عنه[(6)]، والغمز الذي هو أيضا إحدى إشارات العين، وقد كان الكفار يستهزؤون بالمؤمنين، وقد حكى الله تعالى عنهم هذا الفعل المشين بقوله: «**وإذا مروا بهم**

يتغامزون»[7]، والحركات في هذا المعنى كثيرة، وقد حذّر الله تعالى منها لأن عواقبها وخيمة، تكون سببا من أسباب العنف، وتشتت المجتمع.

وقد تنبّه علماء العربية إلى علم العلامات منذ قرون عديدة، فقد أرسى الجاحظ (ت 255ه) مبادئ وقواعد السيميائيات من خلال قوله: «والبيان اسم جامع لكل شيء لك قناع المعنى وهتك الحُجُبَ دون الضمير حتى يقضي السامع إلى حقيقته، ويهجم على محصوله، كائنا ما كان ذلك البيان، ومن أيّ جنس كان ذلك الدليل، لأنّ مدار الأمر والغاية التي إليها يجري القائل والسامع إنّما هو الفهم والإفهام، فبأيّ شيء بلغت الإفهام، وأوضحت عن المعنى فذاك هو البيان في ذلك الموضع»[8]

كما بيّن عدد العلامات التي تدل على المعاني، وحصر أصناف الدلالات على المعاني في خمسة أشياء قائلا: « وجميع أصناف الدلالات عن المعاني من لفظ وغير لفظ خمسة أشياء، لاتنقص ولا تزيد، أولها اللفظ ثم الإشارة ثم العقد، ثم الخط ثم الحال وتسمّى نصبة»[9]

وتحقيقا لعلم العلامات راح يفضل الإشارات التي تنقل المعاني المختلفة، ويشرح كيفيتها، وتطورها، فالإشارة على حد تعبيره « فباليد وبالرأس وبالعين وبالحاجب وبالمنكب.....»[10]

وفي لغتنا العربية ما يرشد إلى أنّ العربي قد استخدم الحركة الجسمية، وتفطّن لأهميتها، معبّرا عن مختلف الأغراض والمعاني كالوفاء والحب، والتوكيد وغيرها، فهذا عمرو بن أبي ربيعة يقول [11]

أشارت بطرف العين خيفة أهلها إشارة محزون ولم تتكلّم
فأيقنت أن الطرف قد قال: مرحبا وأهلاً وسهلاً بالحبيب المتيّم

وقال ابن الأعرابي [12] (ت 231 ه)

العين تبدي الذي في نفس صاحبها من المحبة أو بغض إذا كانا
والعين تنطق والأفواه صامتة حتى ترى من ضمير القلب تبيانا

و قد أشار ابن جنّي إلى أهمية الإشارة (الحركة الجسمية) في نقل المعاني حين عقّب على بيت الشاعر نعيم بن الحارث السعدي، حيث قال الشاعر:

«تقول: وصكت وجهها بيمينها أبعلي هذا بالرحى المتقاعس؟»

يقول: « فلو قال حاكيا عنها: أبعلي هذا بالرحى المتقاعس من غير أن يذكر صك الوجه، لأعلمنا بذلك أنّها متعجبة منكرة، لكنّه لما حكى الحال، فقال:«وصكت وجهها» عُلم بذلك قوّة إنكارها، وتعاظم الصورة لها، هذا مع أنّك سامع لحكاية الحال، غير مشاهد لها، ولو شاهدتها لكنت بها أعرف، ولعظم الحال في نفس تلك المرأة أبين»[13]

أمّا في عصرنا الحديث، فقد أخذ علم الحركة الجسمية يزداد أهمية على مرّ الأيام، وتجري في مجاله الأبحاثُ والدراسات النظرية والتطبيقية، إذ « يمكن تطبيق مبادئ هذا العلم في تقييم المدرس الناجح، والخطيب والواعظ، إذ أنّ للحركة الجسمية تأثيراً على الجماهير، قد يكون سلبيا أو إيجابيا، ويمكننا في مجال التعليم أن نلفت أنظار التلاميذ إلى أداء الحركة الجسمية المهذبة، من قيام وجلوس، ووقوف ومشي وتلّفت وإيماء، ومن ثمَّ فإنّهم يتدربون على السيطرة على سلوكهم الحركي تمامًا كما يتدربون على السيطرة والتحكّم في الألفاظ التي يتفوّهون بها»[14]

2- <u>بعض الحركات الجسمية المسيئة للعنف:</u>

نسعى في هذه الفقرة أن نبيّن بعض السلوكات والتصرّفات التي نعيشها في مجتمعنا، سواء داخل الأسرة أو في المدرسة والجامعة، أو في المرافق العمومية، والتي قد لا يوليها عدد كبير من أفراد المجتمع أهمية، أو بالأحرى لا يتفطنون لمثل تلك الحركات والإشارات التي يستخدمونها، ولكنها تغرس الأحقاد في النفوس، وتدفع ببعض المنحرفين إلى ارتكاب جرائم لا يحمد عقباها، وكل ذلك من أجل تفاديها، والبعد عن أسباب العنف، ونسمو إلى السلوك الحضاري اللائق بمجتمعنا الإسلامي.

فعلى المربيّ في البيت أن يكون على وعي بطرق وأساليب التربية، فكم من والد كان سببا في تشريد أبناءه، وغرس روح العنف في قلوبهم من خلال نظراته المرعبة، التي تولدّ الهلع والخوف في نفوس الأطفال الصغار، التي نبينها بشيء من الدقة في الفقرة الموالية، وقد يقوم المعلّم بهزّ الكتفين تعبيراً عن عدم المبالاة، أو التهديد كأن يهدد الوالد ابنه بسبب إهماله في الدراسة، أو الوعيد الذي لا يكون لفظيا، وذلك « بأن يضع طرف الإبهام فوق الطرف الداخلي للسبابة، مما ينتج عنه شكل دائرة، وتبسط بقية الأصابع»[15]

فالأستاذ الذي يكشّر عن أنيابه، ويلوي رأسه، أو يضحك بكل سخرية عن إجابة التلاميذ يكون قد ثبّط عزائمهم، وزرع في قلوبهم اليأس والنفور من التعلم، وإنّه لمن المؤسف أيضًا أن ترى الأستاذ يدفع بتلاميذه إلى التعدّي عليه لفظيا، أو جسديا بسبب تلك النظرات الشزراء التي يوجهها صوبهم، وهو منهمك بالإجابة عن أسئلة الامتحان، زارعاً في قلوبهم الحقد، وروح الانتقام.

والإنسان الذي ترك العنان لنفسه، ولم يغضض من بصره، امتثالاً لأمر ربّه، يكون بهذا السلوك قد مهّد لاقتراف الجرائم، من اغتصابات وتحرّشات جنسية وغيرها، وما ذلك إلاّ لأنه لم يحسن التصرّف في حركة عينيه، فكل الأمور – من مصائب وغيرها – مبدأها من النظر.

وقد نصعّر خدّنا للناس كبرياءً وغطرسة، فيؤدي ذلك إلى التدابر والهجران، وقد يصل الأمر إلى حدّ الخصام والشجار بسبب بعض النظرات التي تكون عن غير قصد في بعض الأحيان، ولذلك أردنا أن نقف عند بعض هذه الحركات التي تصدرها العين، ونكون منها على حذر.

3- <u>حركة العين وعلاقتها بالعنف</u>:

سلوك العين أو السلوك العيني هو «الاتجاه الذي تنظر فيه العين، ومدى ضيق الحدقة أو اتساعها، ومن ثمّ فهو يشمل دوران الأعين في كل اتجاه، واشراق النظر، وزوغان البصر كما يشمل سلوك الأجفان من خفض وإطباق»[16]

ولغة العيون مبحث طريف، وزاوية للدرس بكر، وهو موضوع لغوي من جهة، وفكري اجتماعي نفسي من نواح أخرى، فرُبّ إشارة بالعين أبلغ من ألف بيان.

وقد تنبه علماء اللغة العربية إلى أوضاع العين وحركاتها، وما يترتب على ذلك من معان، فجمعوا ما يشبه معجما، أردنا أن نقف عند بعض هذه المعاني، التي لها علاقة بموضوع العنف، وقد أورد العديد من هذه الأوضاع أبو منصور الثعالبي (ت429 هـ) في كتابه: « فقه اللغة وأسرار العربية» تحت عنوان: « فصل في تفصيل كيفية النظر وهيئاته في اختلاف أحواله»[17]

1- **الإزلاق**: ويقال: أزلقهُ ببصره إذا نظر إليه نظر متسخّط، مبغض قال تعالى:«**وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم**»[18]، وإشارة «زلق» ترسم عن طريق النظر بحدّة إلى الشيء، وهي تسطّر معنى السخط والحسد..... وأكثر ما يتداول

معناه الأعداء»[19]، فإذا نظرت إلى شخص بهذه النظرة تكون قد جعلته عدوّا، وتمنيت له زوال النعمة، ولا يخفى علينا ما في هذه النظرة من استفزاز.

2- **الشزرُ**: وفيها يعير الناظر الآخرين لحظ العداوة والكيد، « وأكثر ما يكون الشزر فيحال الغضب، والنظر إلى الأعداء» [20]، وقد بيّن الفيروز آبادي في قاموسه هذا النوع من النظر بقوله: « شزره، وشزر إليه شزِرُهُ: نظر في أحد شِقّيه، أو هو نظرٌ فيه إعراضٌ، أو نظر الغضبان بمؤخر العين، أو النظر عن يمين وشمال» [21]، وقولهم: « نظر إليّ شزرًا معناه: نظر إليّ في جانب عينيه من شدّة العداوة والبعض»[22]

فالناظر هذه النظرة غالبا ما يكون في حالة الغضب، « وهي تتضمّن معنى الطّعن، وتحكي «الشزر» معاني الهجر في ميدان الحبّ، وهي تشبه إلى حدّ بعيد نظرة العدوّ المباغض» [23]

3- **الحملقة:**« الحملاق باطن الجفن الأحمر، فإن انقلب قيل: حملق»[24]، وقال ابن فارس: « الحملاق هو ما غطّته الجفون من بياض المقلة، ويقال: حملق إذا فتح عينه ونظر نظرا شديداً»[25]، ويقال: « جاء ملثما لا يظهر من حسن وجهه إلاّ حماليق حدقتيه»[26]، وتدل أيضا على الشراسة لما فيها من الحمرة التي يستضاء بشررها، وكأنّها حمرة النّار من شدّة الفزع، والشراسة، حتى أصبحت كأنها نظرة الحيوان المتوحش المخيف الذي يريد أن يتهجّم أو ينقضّ على فريسته، ولذا علينا الابتعاد عن مثل هذه النظرات التي تزرع الرهبة في النفوس، وبخاصة الصغار والنساء.

4- **التحميج:**«حمّج» وضع تأخذه العين، فتغور، أو تصغر بغتة النظر، و«وحمّج الرجل عينيه إذا حدّق وأحدّ النظر»[27]، « ودلالة هذا الفعل الفزع أو التهديد [28]، فهذه النظرة تكون حادة، تزرع الفزع في النفوس، وتهدّد المنظور إليه».

5- **الغمز:** وهو « إشارة العين أو الجفن أو الحاجب»[29]، « وتحكي هذه الحركة إشارة الغمز والنقيصة والمعايب، ..... وعليه فإن الناظر في الغمز يطلب العيب للمنظور إليه، ويسعى به شرّاً»[30]، كما حكى الله تعالى عن الكفّار بقوله:«**وإذا مروا بهم يتغامزون**»[31]، وهذا السلوك هو طعن في الغيب، وهو مذمومٌ.

6- **الرمق:** قال ابن فارس: « الراء والميم والقاف أصل يدل على ضعف وقلة،

يقال: ترمق الرجل الماء وغيره إذا حسا حُسْوَةً بعد أخرى وهو مرمق العينين أي ضيقه»[32]، والرمق إشارة من إشارات العين، تكون بواسطة النظر إلى الشيء بمجامع العين [33]، وهي تحمل معنى العداوة، والحسد.

7- **الشفن:** يقال: « شَقِنَ الرجلُ شَفَنَا، وشَفَن شَفِنُ، نظر بموخّر عينه، والشفن النظر في اعتراض .....الشُّفون النظر بمؤخر العين كراهة وتعجّبا»[34]، فتكون للعين وضعية تنبِئُ بالكره والبغض، وكثير من الناس تجدهم يتدابرون بسبب هذه النظرة المسيئة، وهناك نظرة أخرى تشبهها تسمى «الخَزَر»، وهي تحمل معنى الغضب أيضا، ولذا ينبغي أن تضبط إشارة العين بدقة، حتى تفسر معانيها أصدق تفسير، وذلك بتحديد حال الناظر، والمقام المحيط به.

يبقى أن نشير إلى أنّه لا ينبغي تعميم هذه المعاني على جميع شعوب العالم، فهي تختلف من بلد إلى آخر، بل ربما من طبقة اجتماعية إلى أخرى، ومن جنس لآخر، فلو قام رجل بحركة جسمية نسائية لصار موضع السخرية والاستهزاء، وهو يشبه تماما الرجل الذي يؤدي ألفاظه بطريقة نسائية، فالحركات الجسمية من العلامات المميزة للطبقة الاجتماعية والنوع والسن والثقافة ..... الخ.

وختاما لهذاالبحث ينبغي الحرص على تهذيب حركاتنا، فقد تكون سببا من أسباب العنف، والاستفزاز، وعلى المربّين خاصة أن يحرصوا كل الحرص على تفادي مثل تلك الحركات والنظرات التي أشرنا إليها، فقد أولى الله تعالى في القرآن الكريم هذه الحركات اهتماما كبيرا، ومن الضروري أن نراقب حركة العين لأن جميع الأمور مبدأها من النظر.

الهوامش

(1) سورة لقمان، الآية 18،

(2) سورة الكهف، الآية 42.

(3) سورة إبراهيم، الآية 43.

(4) سورة لقمان،الآية 18.

(5) سورة النور، الآية 30.

(6) محمد كشاش، لغة العيون: حقيقتها، مواضيعها وأغراضها، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، طبعة 2009 م – 1430 هـ، ص: 85.

(7) سورةالمطففين، الآية: 30.

(8) الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق: محمد فوزي عطوي، الطبعة الأولى، دار صعب، بيروت، سنة 1968 م، ص: 54- 55.

(9) المصدر نفسه، ص: 55.

(10) المصدر نفسه، ص: 55.

(11) المصدر نفسه، ص: 56.

(12) المصدر نفسه، ص: 56.

(13) ابن جنّي، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، الطبعة الأولى، عالم الكتب، بيروت، لبنان، 1427 هـ – 2006 م، ص: 206.

(14) فاطمة محمد محجوب، دراسات في علم اللغة، الطبعة الأولى، المكتبة الأزهرية للنشر والتوزيع، بالقاهرة 2011 م – 1432 هـ، ص: 277.

(15) المرجع نفسه، ص:262.

(16) محمد علي الرديني، فضول في علم اللغة العام، دار الهدى، عين مليلة (الجزائر)، طبعة 2009 م، ص: 110.

(17) ينظر، أبو منصور الثعالبي، فقه اللغة وأسرار العربية، تحقيق وتقديم: يحي مراد الطبعة الأولى، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع بالقاهرة، 1430 هـ–2009 م، ص: 97.

(18) سورةالقلم، الآية 51.

(19) محمد كشاش، لغة العيون، حقيقتها، مواضيعها وأغراضها، ص 67.

(20) المرجع نفسه، ص 82.

(21) الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ضبط وتوثيق، يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر، بيروت لبنان، 1428 هـ – 2008 م، ص: 374.

(22) أبو بكر الأنباري، الزاهر في معاني كلمات الناس، تحقيق: حاتم صالح الضامن، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة بيروت لبنان، 1412هـ– 1992 م، ج2، ص: 33.

(23) محمد كشاش، لغة العيون، ص: 82.

(24) أبو منصور الثعالبي، فقه اللغة وسر العربية، ص:97.

(25) أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: محمد عبد السلام هارون الجزء 2، دار الفكر، 1399هـ – 1979م، ص:147.

(26) الجوهري، الصحاح، تحقيق: أحمد عبد العفور عطّار الجزء 06، الطبعة الأولى، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1376هـ – 1956م، ص:158.

(27) أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج2، ص: 146.

(28) أبو منصور الثعالبي، فقه اللغة وأسرار العربية، ص:97.

(29) الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ص:467.

(30) محمد كشاش، لغة العيون .....، ص:87.

(31) سورة المطففين، الآية 30.

(32) أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج2، ص: 441.

(33) أبو منصور الثعالبي، فقه اللغة وأسرار العربية، ص: 97.

(34) ابن سيدة: المخصص، تحقيق: خليل إبراهيم جفّال، الطبعة الأولى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1417 هـ – 1996م، ج1، ص: 112.